ISSN 2800-1133
EISSN 2830-8352

الإثنوميثودولوجيا كمقاربة منهجية لتحليل التفاعلات الافتراضية

Ethnomethodology as a methodological approach to the analysis of virtual interactions

بثينة حمدي[1،*]

[1] جامعة 8 ماي 1945 قالمة (الجزائر)، hamdi.boutheina@univ-guelma.dz

مخبر الفلسفة والدراسات الإنسانية والاجتماعية ومشكلات الإعلام والاتصال Sophilab جامعة قالمة

تاريخ الاستلام: 2022/05/30 **تاريخ القبول: 2022/06/27**

ملخص:

تستعرض هذه الورقة توظيف مقاربة الإثنوميثودولوجيا، بوصفها أحد أهم مقاربات تحليل الخطاب الاتصالية، في دراسة وتحليل التفاعلات الافتراضية في البيئة الوسيطية، التي أضحت مسرحا تتمظهر فيه مختلف الممارسات الاجتماعية.

وقد حاولنا إثارة أهم الاعتبارات المعرفية والمنهجية المرتبطة بدراسة المجتمعات الإلكترونية عبر تطبيق هذه المنهجية، وتوصلت الورقة إلى تحديد جملة من الحدود والضوابط التي ينبغي على الباحثين إدراكها إزاء تطويع مثل هذه الأدوات البحثية.

الكلمات المفتاحية: الإثنوميثودولوجيا ; التفاعلات الافتراضية; تحليل الخطاب

* المؤلف المرسل

Abstract:

This paper reviews the employment of the ethnomethodology approach, as one of the most important approaches to communicative discourse analysis, In the study and analysis of virtual interactions in the mediated environment, Which has become a theater in which various social practices appear .

We have tried to raise the most important cognitive and methodological considerations associated with the study of electronic societies through the application of this methodology, The paper reached to identify a set of limits and controls that researchers should be aware of about adapting such research tools .

Keywords: Ethnomethodology; Discourse analysis; Virtual interactions.

مقدمة

إن ظهور و تطور المجتمعات الإلكترونية وتجاوزها حدود الجغرافيا والوجود المادي، قد ساهم في تكوين شكل أساسي من أشكال التفاعل الاجتماعي أو ما اصطلح عليه بالتفاعل عبر الحاسوب Computer-mediated interaction، نظرا لتزايد أعداد المتواجدين على البيئة الرقمية، وتطور استخداماتهم وممارساتهم الاجتماعية والثقافية من خلالها، مما أدى إلى خلق أدوات تواصلية تتداخل فيها مختلف أشكال الاتصال اللفظي وغير اللفظي، المتزامن واللامتزامن، المسموع والمرئي وأوجد قوالب تعبيرية تمتزج فيها اللغة بالرموز والصور والأيقونات المختلفة.

مما استدعى ضرورة استكشاف بنية هذا الاتصال في البيئة الإلكترونية الوسيطة، عبر تطويع مختلف الأدوات البحثية السائدة سلفا، ومن بينها الإثنوميثودولوجيا، والتي برزت كأحد مقاربات تحليل الخطاب، وعُنيت بشكل أساسي بتحليل المحادثات اليومية للأفراد بغية استكشاف طرق وأساليب إنتاج الواقع الاجتماعي وفق التفاعلات الاجتماعية المختلفة، خاصة مع تعاظم

الأطروحات التي تهتم بطبيعة الحضور الاجتماعي على الشبكات الاجتماعية، وطرق تقديم الذات، والهوية الافتراضية، وتصاعد الخطابات الهامشية، وعليه سنقوم بتناول هذه المقاربة النظرية و المنهجية في آن عبر ثلاثة محطات رئيسة، نستهلها بالتقديم لمفهوم الإثنوميتودولوجيا ونشأتها و تطورها، ثم نعرض أهم أوجه تطبيق هذه المقاربة في البيئة الوسيطة، وختاما نثير بعض الاعتبارات المنهجية المتعلقة باستخدام الإثنوميتودولوجيا لتحليل مختلف أشكال المحادثات الرقمية.

I.نشأة الإثنوميثودولوجيا و تطورها و تطبيقاتها :

في إطار نقد وتجديد علم الاجتماع التقليدي، اقترح عالم الاجتماع الأمريكي " هارولد جارفينكل " Garfunkel في منتصف الستينيات من القرن الماضي الاهتمام بتحليل الأساليب التي يستخدمها الناس العاديين في حياتهم اليومية لتفسير أنشطتهم وجعلها مفهومة سواء لأنفسهم أو للآخرين.

وفي هذا السياق صك جارفينكل مصطلح الإثنوميثودولوجيا Ethnomethodology والذي يعني منهجية دراسة الإدراك العام للجماعة. وقد اهتمت باللغة وبالطريقة التي يسهم بها حديثنا في خلق واقعنا الاجتماعي. (شومان، 2004، صفحة 19) وهي كلمة مقسمة إلى قسمين : ethno و تعني الناس أو العرق، وتشير methodology (منهجية)إلى مجموعة الأساليب والإجراءات التي يستخدمها أعضاء مجموعة اجتماعية للقيام بتنظيم أنفسهم داخل واقع اجتماعي مشترك، إذ تحاول هذه المنهجية إعادة التفكير في الافتراضات الأساسية للوظيفية والبنيوية، ومنذ نشأتها لم تكن المنهجية الإثنية حقلا موحدا، فهناك من وصفها بأنها مجموعة مجزأة من الحقول الفرعية ذات الصلة، ومن بينها تحليل المحادثة CA Conversation Analysis،

والتي تقوم على أساس استخلاص مقتطفات من تسلسل ممتد بين الحديث والتفاعل من أجل تحليلها، بغرض تحديد كيفية إنتاج النظام الاجتماعي. (Andrea Whittle, 2020)

وقد بدأ علماء المنهج العرقي بدراسة " مجموعات العمل "تحت مظلة " دراسات أمكنة العمل «، للكشف عن الأساليب التنظيمية التي يستخدمها أعضاء مجموعة ما لجعل العمل المنسق ممكنا فيما بينهم من خلال التفاعل مع بعضهم البعض. وقد كان لدراسات العمل الأثر البالغ في استكشاف العديد من الزوايا الأخرى المتعلقة مثلا بالإدارة، القيادة واتخاذ القرار، كما قام باحثون آخرون بدراسة تفاعلات السوق، من خلال الاهتمام بالتفاعلات بين مندوبي المبيعات والعملاء.(Andrea Whittle, 2020) كما اعتمدت بعض الدراسات الإعلامية جزئيا على هذا النهج سنوات السبعينيات إلى الثمانينيات من القرن الماضي، من خلال التساؤل حول الدور الذي تلعبه وسائل الإعلام وبخاصة التلفزيون في التأثير على الأساليب التي تعتمدها العائلات و الوحدات الاجتماعية للتفاعل المعياري عبر فحص أنماط التفاعل و التواصل في بيئتهم الطبيعية (المنزل) استنادا إلى المنظور الطبيعي Naturalistic Perspective، لا سيما مع دراسات لول Lull(1980) تمهيدا للدراسات الحديثة في مجال إثنوغرافيا الاتصال. (Tsourvakas، 1997)

ويهتم تحليل الحوار بوصف السمات التنظيمية والبنيوية للتفاعل اعتمادا على التصنيفات التي يستخدمها المشاركون أنفسهم، وفي كتابهما " خارطة لغة العنصرية «، تبين مارغريت ويذريل وجوناثان بوتر كيف يمكن لتحليل الخطاب وتحليل الحوار أن يساعدا على درس لغات خطاب كالعنصرية، ويتضح الانتباه للخطاب هنا مثلا في الاهتمام بعلاقات السلطة (ميلز، 2016).

وعليه، تظهر معاني اللغة فقط عندما ندرك القواعد الاجتماعية التي تحكم استخدامها، وإذا أردنا معرفة كيفية عمل شيء ما وما يعنيه حقا، فعلينا أن نفكر في كيفية الحديث عنه، ومن هنا فقد تطورت الإثنوميتودولوجيا بشكل ملفت في الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي، واهتمت بالتساؤلات الجوهرية حول: "كيف تفرض المجتمعات قواعد الكلام؟ وما مدى وجود قواعد توافقية معينة؟ وماذا يحدث عندما يتم انتهاكها؟ (Tsourvakas، 1997)

وهنا لابد من الإشارة بأن الخطاب لا يحلل بوصفه لفظا مستقلا بذاته فحسب ، بل بوصفه كذلك تفاعلا موقفيا، أو ممارسة اجتماعية، أو نوعا من التواصل في موقف اجتماعي أو ثقافي أو سياسي أو تاريخي محدد، فبالإمكان مثلا أن نقوم بتحليل المحادثة أو الحوار بالقيام بعمل ميداني في مناطق جوارية، وملاحظة كيف يتحدث الناس في المقاهي أو غيرها من الأماكن العامة ، ونقوم بوصف الجوانب الأخرى ذات الصلة بهذه الأحداث التواصلية، كعنصري الزمان والمكان، والظروف الخاصة و المحيطة بهذا الخطاب (المحادثة)، والمشاركين و اتصالاتهم وأدوارهم الاجتماعية، فضلا عن الأنشطة المتنوعة الأخرى التي تنجز في الوقت نفسه . (ديك، 2014)

وقد تأثر تطور الإثنوميتودولوجيا و متغيراته بمنظورات فلسفية بما في ذلك الظاهراتية Phenomenology (شوتز 1970-1967Shutz)وفلسفة اللغة العادية و وجهات النظر الاجتماعية التفاعلية (جوفمان Goffman 1981)، بالإضافة إلى كثير من اتجاهات ما بعد البنيوية وما بعد الحداثة ، كما تطور عدد من المتغيرات في دراسة المنهجية العرقية، ويتعلق الأمر بتحليل المحادثة CA وتحليل تصنيف العضوية MCA واللذين تم تطويرهما من خلال أعمال ساكس (Harvey Sacks 1995)، إذ يتطلب تحليل المحادثة اهتماما دقيقا

بالبيانات المسجلة ويفحص الإنجاز المتسلسل للإجراءات والأنشطة أثناء التفاعل الاجتماعي من منطلق الاهتمام الأولي بكيفية فعل الناس للأشياء من خلال الحديث، كما تم الاهتمام لاحقا بتحليل " نظام تبادل الأدوار للمحادثة العادية "(جيفرسون و ساكس Giversson and Sacks)، بينما ينصب الاهتمام التحليلي في MCA على الفئات و سمات الفئات والأنشطة المرتبطة بالفئات، حيث إنها تتعلق بجهاز تصنيف العضوية الشامل، على سبيل المثال قد يشمل جهاز تصنيف العضوية " العائلة " على فئات الأب والأم والأخ والأخت... (Davidson, 2012)

كما يحاول تحليل المحادثة التعرف على الأنماط والقواعد والإجراءات التي تحدث بين المتحاورين والطريقة التي تؤثر بها هذه الهياكل على المعنى والتأثير فيما بينهم، ويتطلب ذلك أن يحلل الباحث محادثة كاملة، وقد تشكل سلسلة من التبادلات سياق رسالة معينة. (Tsourvakas، 1997)

وفيما يتعلق بأشكال جمع البيانات التي يمكن استخدامها لالتقاط العناصر التي تتكون منها الحياة اليومية للممارسين، قد يستخدم الباحث مجموعة من التقنيات التي تنتمي إلى مظلة البحث النوعي، وبشكل أساسي استخدام المراقبة والملاحظات الميدانية والمحادثات غير الرسمية. وبالنسبة لفرانسيس وهستر (2004)، فإن "الملاحظات ليست نهاية التحقيق، إنها نقطة البداية لما يسمى التحليل البناء"، ويتم إنشاء هذا النوع من التحليل فيما يتعلق بالممارسات، وتُمكن ملاحظة الباحث المشارك، من وصف وتفسير الممارسات، من استيعاب واقع المجموعة المدروسة. وتحافظ الملاحظات الميدانية على الخصائص التفصيلية للممارسات، وعند القيام بالدراسة، ينبغي على الباحث أن يقدم صورة الواقع كما تعكس نفسها، بعيدا عن الآراء الشخصية و القيم

والمعتقدات، من خلال التركيز على اللغة اليومية، فهي ضرورية للباحث حتى يتوصل إلى المعنى المنسوب لممارسات معينة، ومن الممكن أن يصبح الباحث بمثابة " عضو شرعي " في مجموعة معينة، وبالتالي يكون بإمكانه إدراك التفاصيل ذات الصلة بتحليل الممارسات، كما يمكن الاعتماد على أداة المقابلة، إذ يتم دراسة الحوارات والكلمات المحددة للأعضاء الذين تمت مقابلتهم. (Miriam Leite Farias, 2021)

II- الإثنوميثودولوجيا والفضاء الافتراضي

II-1- التفاعلات الافتراضية

يعتقد البعض أن الاتصال بوساطة الحاسوب يزودنا بوسيط يمكننا من اختبار فهمنا للتفاعل الاجتماعي الإنساني وتعديله وتوسيعه. فعلى سبيل المثال، العديد من التقنيات المستعملة لقياس الاتصال الإنساني في الاتصال بوساطة الحاسوب متماثلة مع التقنيات المطبقة في قياس اتصالات إنسانية أخرى. ومن بين المسائل التي تمت دراستها في هذا المجال هي تأثيرات الاتصال بوساطة الحاسوب على قدرة القائمين بالاتصال على تكوين انطباعات في غياب مفاتيح غير لفظية، وتوليد الأفكار ومشاركة الجماعة، والهوية الشخصية واتخاذ القرار.

كما يفترض البعض من أدبيات تقليد الاتصال بوساطة الحاسوب أن الاتصال في اتجاهين يتميز بفكرة المساواة للخطاب المتبادل وأداء الدور المتبادل. فمثلا يشير بعض الباحثين إلى أن" تكنولوجيات الاتصال الجديدة تجعل من الممكن خلق بيئات افتراضية لا تطبق فيها الأدوار التقليدية للمرسلين والمتلقين "، لكن قد يلتزم المتفاعلون ببعض المعايير الاجتماعية.(بومعيزة،زعموم، 2007)

من جهة أخرى، يرتبط الاتصال التفاعلي بتحقق الانسجام بين الشخص الحقيقي والنظام، خاصة في مستوى العتبة الدنيا من الكفاية والمعارف المطلوبة للقيام بالتبادل الاتصالي. إذ قد تتواجد سلسلة من إمكانيات إخفاق الاتصال التفاعلي الناتج عن وجود فوارق بين الكفايات والأهداف الممكنة التي يصممها النظام وتلك التي تخص المستخدم نفسه. وعندما يحدث عدم الانسجام، كصلابة النظام مثلا، يصبح الاتصال التفاعلي مستحيلا – في حالة وجود عدم انسجام مرتبط بالكفايات –أو غير مفيد إذا كانت المشكلة مرتبطة بالأهداف. (مهنا، 2002)

كما أن هناك من يجد في أشكال الاتصال بواسطة الوسائل الجديدة ضياعا للمرجعية، ويؤكد أنه في هذه الوسائل لم يعد يعرف من يبدأ ومن ينهي الاتصال، ويرى البعض انطلاقا من الملاحظات نفسها – من وجهة نظر سيكولوجية -ولادة أشكال اتصالية يجد الأفراد فيها أنفسهم مدفوعين، بسبب الإدراك المنخفض لمحاورهم، إلى تبني سلوكيات أكثر ثقة بالنفس بالمقارنة مع العلاقات الشخصية المباشرة، وهي سلوكيات أقل تأثرا بخصائص المصدر. (مهنا، 2002).

وعندما ينجز الناس عملا من الأعمال باستخدام التقنيات والنصوص، نادرا ما يفعلون ذلك فرادى. فهم دوما يقومون بذلك مع آخرين أو بعون منهم. وبذلك يعتبر التفاعل جانبا من جوانب الفعل التي تهم محللي الخطاب، ويسميها بـ «العمل المشترك" الذي ينخرط فيه الناس لبناء العالم الاجتماعي. ولعله منذ الأشكال الأولى للاتصال الحاسوبي، والتقنيات الرقمية قد أخذت في تحدي مقاربة محللي الخطاب للتفاعل. وهناك ثلاثة أسباب رئيسية لذلك: أولا، تتسبب الاختلافات الحاصلة في طريقة تزامن التفاعلات الحاسوبية في تغيير طريقة تعامل المحللين مع قضايا مثل إدارة الحوار، والقرب، وإدارة الموضوعات. وثانيا، أن المواد المختلفة والأدوات السيميائية التي توفرها التقنيات الرقمية قد غيرت طريقة إدارة الناس لأمور مثل

الرصد المتبادل وبناء سياق وإتاحة مجموعة من الأشكال الجديدة من "الاحتكاك المنخفض" في التواصل الأساسي والهام مثل الرسائل النصية. وأخيرا، تيسر التكنولوجيات الرقمية مجموعة جديدة من أطر المشاركة في التفاعل، بما يتيح للناس فرصة القيام بأدوار ومسئوليات وجها لوجه مع محاوريهم. (محمود)

وفي هذا الصدد، توفر تكنولوجيا الدردشة إمكانات تقنية مهمة تساعد المشاركين في الدردشة والتحادث على الاتصال و التفاعل والتعبير بقدرات هائلة، مثل الأيقونات المعبرة عن حالات مختلفة، مثل السرور والحزن والغضب والدهشة و الاستغراب، والرضا و الحيرة...وكذلك توفير رموز و جمل مختصرة، مثل إرسال تحية خاصة لمستخدم آخر، أو مصافحته أو إهدائه باقة ورد، أو ربما التحرش به بكلمات لاذعة، أو مداعبته، أو السخرية منه، أو إهانته بلباقة، أو إطرائه وتقديره والإعجاب به، وكذا إمكانية اختصار الكثير من الجمل المتكررة والتي تظهر بشكل يجعلها جاهزة لإعادة الكتابة، فهي وسيلة للتفاعل النصي والصوتي والرسومي والمرئي أيضا. فقد أصبحت وسائل الدردشة الآنية كأدوات للاتصال المتزامن (مثل Messenger) أمكنة مناسبة لإظهار مختلف المواقف التفاعلية والأفكار والتصرفات الاجتماعية (رحومة، 2008).

وتبين لنا ليlee ، على سبيل المثال، كيف تتغير إمكانيات الأشكال اللغوية المرتبطة بالرسائل النصية والرسائل الفورية عندما يتم تكييفها مع السياقات الجديدة من العلامات، ويبين سنايدر كيف يتم استغلال إمكانيات شبكة الإنترنت في جمع المعلومات وتنظيمها بطريقة مختلفة على يد المسوقين والمعلمين. ولعل طريقة استخدام الناس للتقنيات الرقمية، والممارسات الاجتماعية المختلفة التي تلازم استخداماتهم لها، هي نتاج المعالجة الفعالة لتوفيق الأمور التي يريد الناس القيام بها مع الأمور التي تتيحها التقنيات لهم.

II-2-الإثنوميثودولوجيا و تحليل المحادثات الرقمية

اكتست الإثنوميثودولوجيا الكثير من الاهتمام في التخصصات المتعلقة بالتكنولوجيا، وسعى من خلالها الباحثين إلى محاولة فهم الآثار الأوسع التي يمكن أن تحدثها التكنولوجيا الجديدة على علاقات العمل، كما استخدمت في دراسة التفاعل الاجتماعي في البيئات الوسيطة social interaction in mediated environments.

ولقد استفاد بعض الباحثين من إسهامات إرفنغ غوفمان Goffmanفي معالجته لنظام التفاعل كوحدة بارزة للتحليل، شاملا ذلك توقع الأدوار الإلكترونية بما يشبه توقع الأدوار الطبيعية بحسب مكانة الفرد الافتراضي اجتماعيا وتكنولوجيا في المجتمع الرقمي المعني، وقد استخدم غوفمان خمسة عناصر للتحليل:

- مناطق أو نواحي الذات: وهي الجوانب التي تفرض نفسها على الفرد الافتراضي لتتمثل في الفضاء السايبري، إنها خصائص معينة تشير إلى مناح مختلفة من ذاته الافتراضية.

- الفضاءات العامة والخاصة كنتاج للتفاعل، وهي البيئة التي تنشأ من خلال التفاعل بين الأفراد، شاملا عموم التمثل وخصوصه بين أفراد محددين.
- ملامح الذات كبنية تبادل ذاتي.
- الطقوس كحقيقة اجتماعية، بمعنى الممارسة والتمثل الطقسي، وهنا يظهر تمثل الأفراد من خلال تقاليد وأعراف بصورة طقسية ritual تقليدية-رقمية تنمذج المناخ العام لبيئة التفاعل، بحسب خصائص المجتمع الافتراضي المعني.
- التفاعل كطقس، ويقصد بهذا العنصر، المظهر الكلي للتفاعل، كسمة عامة للمجتمع المعني، له تفاعله الطقسي الشامل الذي يركز عليه الباحث بمنظور حركته العامة، وهو خلاف العنصر السابق، حيث إن الطقوس هي عناصر فرعية لها أشكالها الخاصة منفصلة. (رحومة، 2008)

ومن هنا، يسعى التحليل الإثنوميتودولوجي الذي يفحص البريد الإلكتروني كخطاب على سبيل المثال إلى البحث عن التنظيم الهيكلي للحديث، هل هناك أنماط تعبيرية يتبعها المستخدمون؟ هل ظهرت لغة معينة أو حديث جماعي معين؟ هل طورت مجموعة معينة رموز تعبيرية خاصة بها؟ وغالبا ما تتبع سلاسل المحادثات تنظيما تسلسليا محددا بوضوح، كما يجب على المحلل استكشاف الطريقة التي تؤثر بها الطبيعة غير المتزامنة للبريد الإلكتروني على " تبادل الأدوار " بين المستخدمين. كما يجب أن يكون المحلل مدركا للطريقة التي يتم بها استخدام اللغة من قبل الأفراد لتبادل " المعلومات المشفرة "، والتي يتجاوز فيها المعنى مجرد الكلمات. إذ غالبا ما يمكن مصادفة بعض الرؤى حول الطرق التي يرى بها الأفراد أنفسهم أو يحددون بها ذواتهم في الاستعارات المختلفة في المحادثات. وقد يتعلم الباحث بذلك اللغة السرية المتداولة من أجل فتح الرموز والمعاني والحقائق المبنية التي تم تضمينها في تفاعلات المستخدمين. ويرتبط بهذا حقيقة أن اللغة في العديد من المجموعات قد

تتطور إلى لهجة زائفة من الاختصارات والمصطلحات، مما قد يتطلب وقتا طويلا والتزاما بالملاحظة المستمرة للتعرف على أكواد الطروحات. (Stiven R.Thomson, 1998)

وفي سياق آخر، أثبتت دراسة " بوخبزة نبيلة وإحدادن وهيبة" بأن المحادثات الرقمية لا تستغني عن الأنساق البصرية، الكفيلة بسد النقص التعبيري للغة اللسانية المكتوبة، التي تعجز أحيانا عن نقل معلومة شعورية أو انفعالية أثناء التفاعل كتابيا عن بعد، مما يجعل الأيقونات الانفعالية مكملة لها أو مكثفة لمعناها أو حتى في بعض الأحيان معارضة لمضمونها. كما يتطلب تحليل المعاني الخفية في المحادثات المدروسة العودة إلى دلالات الرسالة اللسانية المكتوبة والأيقونات المرفقة بها، والتي لوحظ استخدامها في نهاية السلسلة النحوية في المحادثات محل التحليل، وهذا ما يدل على استخدام أيقونات الانفعال émoticônes التي تزخر بها الفضاءات الرقمية، كمحدد لمعنى الرسالة بكاملها. حيث يستوجب فهم الرسائل الاتصالية في المحادثات الرقمية، تحديد مدلول الرسالة اللسانية وبعد ذلك ما تدل عليه الأيقونة الانفعالية، لأن الأيقونة الانفعالية ليس لها علاقة مباشرة مع المضمون اللساني، فهي لا تمثل أو تعكس ما يصفه الملفوظ المكتوب كما هو حال الصورة السنيمائية أو الإخبارية مثلا التي تأتي في انسجام تام مع الرسالة اللسانية. (بوخبزة، 2021)

كما يتجلى البعد العاطفي في المحادثات الرقمية من خلال استعمال الأيقونات العاطفية السائدة في الثقافة التي ينتمي إليها المتصل، حيث توجد العديد من النماذج (الأيقونات الطباعية الشرقية، الأيقونات الغربية، الأيقونات المرسومة) والتي اختار منها المرسل الأيقونات التي يراها أكثر كفاءة للتعبير عن ذاته وانطباعاته. و تؤدي الأيقونات العاطفية وظيفة تعبيرية بالأساس، لأنها تساهم في

بلوغ وإدراك عواطف و أحاسيس منتج الرسالة، فهي تعمل على وصف حالة نفس المتحدث وتنزع إلى التعبير عن العواطف المختلفة (فرح، حزن، غضب، اشمئزاز، خوف، دهشة)، وتختلف العلاقة التي تربط الرسائل اللسانية بالأيقونات العاطفية في المحادثات الرقمية وذلك باختلاف سياق استعمالها، حيث تكون الأيقونات العاطفية في علاقة حشو وإسهاب مع الرسالة اللسانية وذلك عندما تأتي بغرض تكثيف المعنى وتأكيده، وتكون في علاقة معارضة عندما يتناقض مدلول الأيقونة العاطفية مع مدلول المضمون اللساني، أو علاقة تكميلية عندما يكمل كل منهما الآخر. (بوخبزة إ، 2021)

III- الاعتبارات المنهجية لتطبيق الإثنوميثودولوجيا في البيئة الوسيطة

أبدى الباحثون الكثير من التحفظات حول إمكانية تطبيق الإثنوميتودولوجيا في البيئة الإلكترونية، من خلال إمكانية إعاقة تطبيق هذا المنهج في ظل غياب الإشارات المرئية واللغوية عبر الاتصال الإلكتروني الوسيطي، نظرا لافتقار هذا الأخير لعنصر المواجهة. ومن بين هذه الاعتبارات نذكر ما يلي:

- إن الاتصال بوساطة الكمبيوتر computer mediated communication سيبقى فيه عجز إلى حد ما بسبب انخفاض الإشارات الاجتماعية، مما سيجعل بيئة الاتصال أقل شأنا من نظيرتها في العالم الواقعي، على اعتبار أن الأدوات التكنولوجية تعمل لا محالة على تشويه الإطار المرجعي المشترك المطلوب للتبادلية والتفاهم والتفاعل المنظم اجتماعيا. إذ من أهم الانتقادات الموجهة للمجتمعات التي يتوسط فيها الكمبيوتر والأجهزة الذكية العلاقات الاجتماعية، هو كونها غير قادرة على تعزيز العلاقات الشخصية الجوهرية والحقيقية. (McAuley)

- وحتى على مستوى الاتصال عبر الفيديو في البيئات الوسيطة، فإن كل متحدث تكون لديه وجهة نظر محدودة عن الشخص الذي يحاوره. إذ من الممكن أن تفتقد التبادلات التي تتم عبر الإنترنت عموما إلى المستوى المفروض من التفاعل والحميمية والكشف عن الذات المميزة للتفاعل التقليدي، وبالتالي يؤدي تشويه مجال الخبرة الطبيعي إلى تقليل قدرة الفاعلين الاجتماعيين على تجربة العمل الاجتماعي المسئول وبالتالي يمنع تطبيق الإثنوميثودولوجيا في البيئات الوسيطة(Tsourvakas, 1997) .
- في نفس السياق، أثبتت نتائج بعض الدراسات بأن الأشخاص الذين يتواصلون عبر بيئات عبر الفيديو يفترضون مسبقًا "قابلية تبادل وجهات النظر"، وهكذا يتم الالتزام بالإيماءات كما لو كان المتحدث في حضور المتلقي. ومع ذلك، فإن كل متحدث لديه وجهة نظر محدودة فقط عن المتلقي، وبينما يتصرف كل منهم كما لو كان يتواصل وجهاً لوجه، فإن تفاعلهم الاجتماعي يتم نقله وبالتالي تشكيله من خلال بيئة متبادلة غير متسقة. كما خلصت دراسات أخرى من هذا النوع، إلى أن التفاعل الاجتماعي الذي يتم في أماكن يتوسط فيها الفيديو عملية الاتصال، يتطلب إعادة توجيه السلوك الاجتماعي من قبل المشاركين، وهكذا تولد البيئات الوسيطة أنماطًا جديدة من السلوك الاجتماعي منظم حول الوسط نفسه. (McAuley)
- إن البيئات المستندة على النصوص تجعل من أي مجال من مجالات التعبير المشتركة أكثر غموضا، وبالتالي ينبغي على الباحثين إدراك حدود التحليل النصي للمحادثات الافتراضية، مما يحتم عليهم البقاء لفترات معينة كمشاركين نشطين، وعدم الاكتفاء بتحليل وتفسير الخطاب أو

النص الذي يرونه مناسبا وفعالا في عملهم البحثي فقط. (Stiven R.Thomson، 1998)

- من القضايا الأخلاقية التي أثيرت حول تطبيق الإثنوميتودولوجيا في البيئة الوسيطة، الإقبال على فحص المحادثات على الإنترنت دون موافقة أعضاء مجموعات معينة أو الأشخاص المشاركين في الحوار. (Stiven R.Thomson، 1998)
- أيضًا، عند الرغبة في تحليل النشاط الاجتماعي في البيئات الوسيطة، يجب على الباحثين أن يأخذوا في الاعتبار بأن الوسيلة ليست فقط أداة للتفاعل ولكنها بيئة شاملة للنشاط الاجتماعي، وبالتالي فإن مفاهيم المساءلة **accountability (تقاسم الممارسات)** والانعكاسية reflexivity **(تأثير ممارسات المجموعة وما ينتج عنها من ردود أفعال)**، وهما من المفاهيم الأساسية في الإثنوميثودولوجيا)، تكون محدودة للغاية عند التواصل المستند إلى النصوص على سبيل المثال. فعلى الرغم من أن تحليل المحادثة قد قدم بعض المساهمات المثيرة للاهتمام في هذا المجال، فإن غالبية التفاعلات عبر الويب قد تحدث في شكل اتصال غير متزامن، وبالتالي فإن التغذية الراجعة، الحاسمة في هيكلة وإصلاح الاتصالات، ليست فوريو بالتالي فإن أخذ مقاطع من المحادثات كمواد للتحليل يتعارض مع أسس هذه المنهجية القائمة على مبادئ المساءلة والانعكاسية، وكلاهما يتأثر بشدة بإدخال وسيط. (McAuley)

IV- نتائج الدراسة

تناولت هذه الورقة الإثنوميثودولوجيا كإحدى الأساليب النوعية، وكشكل من أشكال التحليل الاجتماعي العملي، حيث انصب موضوعها بشكل أساسي على طرق

البناء المحلي للمعاني الاجتماعية من خلال ممارسات تفاعلية معينة. كما تركز مقاربة " تحليل المحادثة " على إعطاء مكان بارز للمحادثات اليومية باعتبارها الوسيلة الأساسية للتفاعل الاجتماعي اليومي، واهتمت بوصف التعبيرات التي تعتمد على جوانب معينة من السياق المحلي، وتسمى " التعبيرات الفهرسية "، والتي تمكن من التعرف على السياقات التي يتم التحدث بها، وكذا الكشف عن القواعد الأساسية التي تحكم السلوك البشري في المواقف اليومية. وغالبا ما يعتمد تحليل المحادثة على نسخ من شريط الخطاب المسجل في ظروف طبيعية، يقوم الباحث من خلاله بتحليل تفسيري يتجاوز النص نفسه إلى السياق الذي يلفه. وبالنظر إلى أشكال الاتصالات الإلكترونية المختلفة فقد توصلنا إلى وجود عدد من الاعتبارات المنهجية لتوظيف هذه المقاربة في تحليل المحادثات الرقمية.

خاتمة

لقد تم التطرق عبر هذا المقال إلى تطبيق الإثنوميثودولوجيا في تحليل التفاعلات البينية الافتراضية، لما له من أهمية في وصف أشكال التفاعل الاجتماعي في البيئة الرقمية، وقد لاحظنا وجود شبه إجماع بين مختلف الأدبيات التي تم تصفحها في هذا الجانب، حول محدودية هذه المنهجية إذا ما تم إسقاطها في جانب التفاعل الافتراضي، نظرا لاختلاف هذا الأخير عن نظيره الواقعي، وعليه توصي الورقة الحالية بدورها، بضرورة تكثيف الطرق البحثية وتوظيف المنهج متعدد الأساليب multi-method triangulation لدراسة التفاعل عبر الإنترنت و البيئات الوسيطة، و الذي يتضمن استخدام تحليل المحادثة وتحليل الخطاب إلى جانب الملاحظة بالمشاركة والمقابلات النوعية وحتى المجموعات المركزة بغية إثارة المزيد من المعاني حول تجارب المشاركة والعضوية في المجموعات الافتراضية.

الإحالات والمراجع:

- المؤلفات:

- سارة ميلز،تر(عبد الوهاب علوب، المترجمون) ،الخطاب،المركز القومي للترجمة،(القاهرة: المركز القومي للترجمة،2016)،ص 158.

- علي محمد رحومة، علم الاجتماع الآلي.سلسلة عالم المعرفة،(الكويت: سلسلة عالم المعرفة2008)،ص

- فان ديك،تر (غيداء العلي)،الخطاب و السلطة،المركز القومي للترجمة،(القاهرة: المركز القومي للترجمة،2014)،ص34.

- فريال مهنا، علوم الاتصال و المجتمعات الرقمية،(دمشق: دار الفكر،2002)،ص340-341.

- المقالات:

- وهيبة إحدادن،نبيلة بوخبزة،التعبير عن العواطف في المحادثات الرقمية الفورية،بحث في الكتابة الأيقونية الإلكترونية. مجلة الواحات للبحوث و الدراسات (1)، 2021،الصفحات 1200-1217

- وهيبة إحدادن،نبيلة بوخبزة. (2 جوان, 2021). إشكالية علاقة النص اللساني بالأيقوني في الخطاب الإلكتروني الوسيطي: المحادثات الرقمية عبر Tchat Algerie أنموذجا. مجلة المدونة ،2021، الصفحات 2115-2128

- محمد شومان،إشكاليات تحليل الخطاب في الدراسات الإعلامية العربية : الدراسات المصرية نموذجا. المجلة العلمية لكلية الآداب،2004،ص 19.

- السعيد بومعيزة،خالد زعموم، التفاعلية في الإذاعة أشكالها و وسائلها. (اتحاد إذاعات الدول العربية، المحرر) سلسلة بحوث ودراسات إذاعية (61)،2007،ص 28.

- Christina Davidson, Ethnomethodology and literacy research: A methodological road less travelled, English Teaching Practice and Critique , 11 (1),2012,p26-42.

- George Tsourvakas,Multi-Visual Qualitative Method: Observing Social Groups in Mass,The Qualitative Report, Nova Southeastearn University,1997,(3),p 1-18.
- João Henriques de Sousa Júnior Miriam Leite Farias, Ethnomethodology as Methodological Approach to Consumer Culture Theory Studie, .Marketing & Tourism Review.(1) 6 ، 2021,p 185.

- مواقع الانترنيت:

- أحمد عبد الله محمود، (2016)، تحليل الخطاب والممارسات الرقمية، مقدمة كتاب " تحليل الخطاب والممارسات الخطابية "، متاحة على الرابط:
https://hekmah.org/%D8%AA%D8%AD%D9%84%D9%8A%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%AE%D8%B7%D8%A7%D8%A8-%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%85%D8%A7%D8%B1%D8%B3%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%82%D9%85%D9%8A%D8%A9
(2020/07/23)
- Frank Mueller Andrea Whittle,Ethnometodology : https://dro.dur.ac.uk.(2020 6 23)
- John McAuley .(بلا تاريخ) .Virtual Ethnomethodology?A study of the relation between ethnomethodology and CMC. https://www.scss.tcd.ie/publications/tech-reports/reports.10/TCD-CS-2010-11.pdf (2022/01/22)
- Joseph D. Straubhaar, Drew M. Bolyard Stiven R.Thomson(1998)
- http://informationr.net/ir/4-1/paper50.html (2022/01/25)